النفحة التاسعة والعشرون: ماذا بعد رَمَضَانَ

قبل شهر كان الجميع يدعو فيقول: اللَّهم بلغنا رَمَضَانَ، واليوم نقول: اللَّهم تسلمه منا متقبلاً، فيا سعادة من قبل، ويا عزاء من حرم، ولا يجد العبد المخبت في نهاية الشهر الكريم، إلّا أن يشكر ربه تبارك وتعالى أن أنعم عليه ببلوغه، وزاده من فضله أن قامه وصامه، ونسأله تعالى أن يعتقنا جميعاً من النيران.

يا سبحان الله، مضت أيام هذا الشهر الكريم، وانصرمت لياليه، ويا لها من ليال ما أطيبها، لقد رقت فيها القلوب، وسكبت فيها الدموع، وخشعت فيها الجلود، تذوق المؤمنون حلاوة الإيمان، ومتعة المناجاة... صلاة الواحد منا لا يفارقها الخشوع، ودعاء أحدنا محشو بالخضوع، وسلوك الواحد منا حافل بفعل الخيرات، والمسارعة في المبرات، وأخلاقنا تهذبت فما أرفعها من أخلاق...

كنا قبل دخول شوال، بين قارئ للقرآن، وبين صائم، ومصلٍ، وقائم، وقانت، وداعٍ، وباكٍ، وخاشع، ومتذلل للّه القيوم... النفوس صفت، والأرواح سمت، والقلوب عمرها الإيمان، ومساجدنا اكتظت بالزحام، في صلاة القيام كنا نسمع أنين المذنبين، وصراخ العابدين، وآهات العاشقين...

أيها الأحبـــاب:

لا نملك إلّا أن نقول: رحل رَمَضَانَ، ونسأل الله أن يعيده علينا وعليكم وعلى أمة الإسلام، أعواماً عديدة، وأزمنة مديدة.

لكن علينا أن نتنبه إلى حقيقة لها بالغ الأهمية هنا، ألا وهي: أن الحق ﷻ أمرنا بعد أداء العبادات والفراغ منها بالاستغفار، لأن الاستغفار يجبر ما كان في العمل من النقص والهنات، والغفلة والنسيان، كما أنه يقشع من سماء القلوب ظلمة الغرور، ونزوة الشعور بالكبر والزهو، ويمنع تسرب العجب إلى القلوب، بل إنه يترك في النفوس أثراً عميقاً من الشعور بالتقصير.

فالحج: بعد أدائه والفراغ من مناسكه، يأتي الاستغفار ليرمم ما وقع فيه من لغط وسهو، أو نسيان وخطأ، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾ [البَقَرَة: 199].

والصلاة: بعد التسليم يأتي الاستغفار لمحو ما عرض للإنسان من سهو أو نسيان، وكان النبي ﷺ يستغفر بعد الصلاة ثلاثاً.

وهكذا سائر العبادات، فإن الاستغفار يجيء في عقبها لجبر ما وقع فيها من زلل، فالزموا إخوتي الاستغفار بعد انقضاء رَمَضَان، لعل الله يغفر لنا ما بدر منا من تقصير ونسيان.

يا مسلمون:

لئن انقضى شهر رَمَضَان، فإن وقت العمل والعبادة لا ينقضي إلّا بموت الإنسان، قال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحِجر: 99]، فالطاعات والعبادات هي مطية الصالحين في هذه الحياة ومزرعتهم، حتى يأذن الحق ﷻ بالرحيل، وعندها ينقطع العمل، ويبقى الأثر، فالمؤمن عندما يودع شهر رَمَضَان، فإنه لا يودع الطاعة ويهجرها، بل يرغب فيها ويزيد من خصالها...

أما الذي يقلع عن العبادة، ويهجر بيوت الله مع إشراقة العيد، فإنه يكون ناقضاً للعهد مع الله، والميثاق الذي أبرمه مع مقدم رَمَضَان، وبئس ما فعل، لأنه ما عرف الله إلّا في رَمَضَان، ونسي أن الله تبارك وتعالى هو رب رَمَضَان وشوال وسائر الشهور والسنين والأيام والأحوال، ونحن نعبد الله في رَمَضَان وغيره، والله سبحانه وتعالى مستحق للعبادة في كل آن وحين، وليس من الخلق ولا الوفاء أن نعبد الله في رَمَضَان، وننكص على أعقابنا ونعصيه بعد رَمَضَان.

أحباب الله:

إذا كان شهر الصيام انقضى، فإن الصيام لا يزال بحمد الله تعالى مشروعاً في سائر الأوقات، ومن جملة ما شرع لنا من صيام:

أولاً: صيام ستة أيام من شوال، ففي صحيح مسلم، يقول النبي ﷺ: «من

صام رَمَضَانَ ثم أتبعه ستاً من شوال، كان كصيام الدهر»[1]، فاحرص أخي المسلم على هذا الخير العظيم، ستة أيام مجتمعات أو متفرقات في شهر شوال، صيامها كصيام الدهر، ويكون كصيام رَمَضَانَ بحيث تصان العين عن رؤية الحرام، والأذن عن سماع الحرام، واللسان عن النطق بالحرام، واليد عن فعل الحرام، والرجل عن المشي إلى الحرام، هذا يعني أنك صمت الدهر كله، ويا لعظيم الأجر وكبير الثواب.

ثانياً: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وهي الأيام البيض ـ الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر ـ تعدل صيام الدهر كله، لما ورد في صحيح البخاري وغيره من حديث أبي هريرة ﷺ، قال: (أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهن حتى أموت، صوم ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى ونوم على وتر)[2].

ثالثاً: صيام يوم عرفة، وصيام هذا اليوم الفضيل يكفر سنة قبله وسنة بعده، لما ورد في صحيح مسلم من حديث أبي قتادة الأنصاري ﷺ أن النبي ﷺ سئل عن صوم يوم عرفة؟ فقال: «**يكفِّر السنة الماضية والباقية**»[3].

رابعاً: صيام يوم عاشوراء، وهو يوم مبارك نجَّى الله فيه موسى عليه السلام من عدوه، فصامه قومه، وسن صيامه لنا النبي ﷺ، ففي صحيح مسلم من حديث أبي قتادة الأنصاري ﷺ سئل النبي ﷺ عن صوم يوم عاشوراء؟ فقال: «**يكفِّر السنة الماضية**»[4].

خامساً: صيام يوم الاثنين والخميس، لما ورد في سنن النسائي أن عائشة ﷺ قالت: «إن رسول الله ﷺ كان يتحرى صيام الاثنين والخميس»[5].

---

(1) رواه مسلم، 2/ 822، رقم: (1164).

(2) رواه البخاري، 1/ 368، رقم: (1124).

(3) رواه مسلم، 2/ 818، رقم: (1162).

(4) رواه مسلم، 2/ 819، رقم: (1162).

(5) رواه ابن ماجه، 1/ 553، رقم: (1739)، والنسائي، 4/ 202، رقم: (2360).

سادساً: الصيام في شعبان، لما ورد في البخاري، من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم، فما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر إلّا رَمَضَانَ، وما رأيته أكثر صياماً منه في شعبان)[1].

سابعاً: الصيام في شهر الله المحرم، لما ورد أن النبي ﷺ سئل: أي الصيام أفضل بعد شهر رَمَضَانَ؟ قال: «**أفضل الصيام بعد شهر رَمَضَانَ، شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل**»[2].

ثامناً: صيام نبي الله داود عليه السلام، لما ورد في البخاري من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: (أن رسول الله ﷺ ذكر له صومي، فدخل عليَّ فألقيت له وسادة من أدم حشوها ليف، على الأرض، وصارت الوسادة بيني وبينه، فقال: «**أما يكفيك من كل شهر ثلاثة أيام**»، قال: قلت يا رسول الله: قال: «**خمساً**»، قلت يا رسول الله، قال: «**سبعاً**» قلت يا رسول الله، قال: «**تسعاً**»، قلت: يا رسول الله، قال: «**إحدى عشرة**»، ثم قال النبي ﷺ: «**لا صوم فوق صوم داود عليه السلام شطر الدهر، صم يوماً وأفطر يوماً**»[3].

إخوتي:

وانقضاء شهر القيام لا يعني أن القيام انتهى، وصف الأقدام وقت السحر انقضى، فلقد سن لنا النبي ﷺ القيام في كل ليلة ـ بحمد الله تعالى ـ ولقد كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تتورّم قدماه، وخاطبه ربنا تبارك وتعالى قائلاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾ [المُزّمّل: 1 ـ 6].

---

(1) رواه البخاري، 2/ 695، رقم: (1868).

(2) صحيح ابن خزيمة، 8/ 398، رقم: (3636)، وغيره.

(3) رواه البخاري، 2/ 699، رقم: (1879).

والنبي ﷺ يرغبنا في القيام فيقول: «**يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**»[1].

وصلاة الليل شاملة لصلاة الوتر، والقيام، وشاملة للدعاء والاستغفار وخاصة في الثلث الأخير من الليل، لما ورد في البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**»[2].

وأكثروا أيها الأحباب من النوافل، فإن النوافل عبادات غير مفروضة، لا يلازمها إلّا من أخلص قلبه للّه تعالى، وأثّرت أنوار الصيام فيه، فدفعته رغبة شديدة للمحافظة عليها، والاستزادة منها، حتى يبلغ العبد درجة من الصفاء، يتحسَّر إن ضاعت منه نافلة، ويتألم على فواتها، وبهذا تسمو روحه إلى درجة الصالحين، الذين حباهم الله بنور المعرفة، وأنوار الهداية الربانية.

إن المحافظة على هذه النوافل والأذكار والقيام والصيام المشروع بعد رَمَضَان دليل تألّق منهج الإسلام في تربية الإنسان، إنه يرسم له بعد رَمَضَان منهجاً سلوكياً لا يحيد عما ألفه واعتاده في أيام الصيام، وبذلك تبقى نفحات رَمَضَان مصاحبة له طوال العام.

وفي المقابل فإن الذي يدير ظهره لهذه العبادات مع أول ضربة مدفع العيد، ويهجرها وكأنه لم يدخل مدرسة الصيام ولا نهل من معينها، فإنه في الحقيقة لم يدرك أسرار الصيام، ولم يعلم أن الغاية من الصوم، إنما هي معالجة النفس من أمراضها، وترويضها على الخيرات والطاعات، وكبح جماحها عن المعاصي والآفات، حتى تكتسب إرادة صارمة، وعزيمة صادقة، تحول بينها وبين الوقوع في المحرمات، وتمنعها من الانزالق في مستنقع الشهوات.

---

(1) الحاكم في المستدرك، 3/ 14، رقم: (4283)، وقال: هذا حديث صحيح.

(2) رواه البخاري، 1/ 348، رقم: (1094).

على مثل هؤلاء المعرضين عن العبادة بعد رَمَضَانَ أن يعلموا، أن المقصد الأسنى من مقاصد الصوم، إنما هو غرس التقوى في القلوب، والخشية في النفوس، حتى يصبح المسلم متدرباً على مجاهدة النفس الأمارة بالسوء، مكافحاً لنزواتها ونزغاتها، وهذا يحدو الصائم إلى مصافّ الأولياء والمقربين.

يا مسلمون:

الاستقامة على الطاعات، ومزاولة العبادات بعد رَمَضَانَ، دليل على قبول الصيام، لأن من دلائل قبول العمل، المداومة عليه بعد انقضائه، والاستقامة والاستمرار دليل الفلاح في الدارين قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فُصِّلَت: 30]، فواظبوا على الاستقامة والطاعة، واعلموا أن من علامات قبول الحسنة، الحسنة بعدها، ومن علامات بطلان العمل ورده، العودة إلى المعاصي بعد الطاعات، واستعيذوا بالله من الحور بعد الكور.

واعلموا رحمكم الله[1] أن هذه الشهور والأعوام، والليالي والأيام، كلها مقادير للآجال، ومواقيت للأعمال، ثم تنقضي سريعاً، وتمضي جميعاً، والذي أوجدها وابتدعها وخصها بالفضائل وأودعها باق لا يزول، ودائم لا يحول، هو في جميع الأوقات إله واحد ولأعمال عباده رقيب مشاهد، فسبحان من قلب عباده في اختلاف الأوقات بين وظائف الخدم، ليسبغ عليهم فيها فواضل النعم، ويعاملهم بنهاية الجود والكرم، لما انقضت الأشهر الثلاثة الكرام التي أولها الشهر الحرام، وآخرها شهر الصيام، أقبلت بعدها الأشهر الثلاثة أشهر الحج إلى البيت الحرام، فكما أن مَن صام رَمَضَانَ وقامه غفر له ما تقدم من ذنبه، فمن حج البيت ولم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه، فما يمضي من عمر المؤمن ساعة من الساعات إلّا ولله فيها عليه وظيفة من وظائف الطاعات، فالمؤمن يتقلب بين هذه الوظائف، ويتقرب بها إلى مولاه وهو راج خائف.

(1) لطائف المعارف، ص398.

المحب لا يمل من التقرب بالنوافل إلى مولاه، ولا يأمل إلّا قربه ورضاه، كل وقت يخليه العبد من طاعة مولاه فقد خسره، وكل ساعة يغفل فيها عن ذكر الله، تكون عليه يوم القيامة تِرة، فوا أسفاه على زمان ضاع في غير طاعته، وواحسرتاه على وقت فات في غير خدمته.

لقد كان رَمَضَانَ يا إخوتي مدرسة عظيمة، مدرسة لصياغة الرجال والأبطال، مدرسة تربوية في مكافحة الهوى والشيطان، مدرسة في الأخلاق والسلوك، مدرسة في الوحدة والاعتصام ونبذ الفرقة والخلاف، مدرسة في ترقي الروح في مدارج الصفاء، مدرسة في ترويض الناس على صلاة الجماعة والقيام والذكر والدعاء وتلاوة القرآن.

فهل تركت هذه المدرسة العظيمة آثارها في نفوسنا يا سادة؟

إننا نرى في واقعنا صوراً عند بعض الناس تعكس عدم تأثرهم برمضان ومدرسته العظيمة، حالهم يدل على قسوة قلوبهم، وجفوة نفوسهم، وعدم تأثرهم بنفحات رَمَضَانَ.

فأين أثر الصيام إذا تركت صلاة الجماعة؟

أين أثر الصيام إذا هجر القرآن؟

أين أثر الصيام إذا انتهكت الحرمات؟

أين أثر الصيام إذا غش المسلم وتحايل على الناس؟

أين أثر الصيام إذا حكمت شريعة الطاغوت، وهمِّشت شريعة السماء؟

أين أثر الصيام إذا استعجمت الألسنة عن نشر الهدى والدعوة إلى الخير؟

أين أثر الصيام إذا أكل المال الحرام، وانتشرت الربا؟

أين أثر الصيام إذا بخل الموسر، ومنع الجائع والأرملة واليتيم والمعسر؟

أين أثر الصيام إذا استبيحت ديار الإسلام والمسلمين، ودنست مقدساتهم وديست، وتشرد الأطفال وافترشوا الرمال، والتحفوا الزمهرير، بينما يوجد في المسلمين الساهي اللاهي، الذي يفترش الوثير، ويلتحف الحرير؟

أين أثر الصيام إذا حورب أولياء الله، وتولي أعداء الله؟

أين أثر الصيام إذا تعالى نعيق الذين يصرون على الإقليمية والتجزئة، ويرفضون حلول الإسلام؟

أين أثر الصيام عند من وقف مكتوف اليدين متفرجاً، وإخوانه في كثير من بلاد الإسلام تهدر كرامتهم، ويذبحون ويعذبون أيما عذاب؟.

اللَّهم فرّج عنا وعن المسلمين فرجاً عاجلاً قريباً، يا رب العالمين.